

السُّنة والعِلْم التجريبي

العلم الذي دعا إليه الإسلام ، وحث عليه القرآن والسنة : هو كل معرفة مستندة إلى استدلال ؛ ولهذا لا يعد علماء المسلمين التقليد علمًا ، لأنه اتباع لقول الغير بلا حجة .

وعلى هذا يشمل العلم في الإسلام مجالات عدة تقصر عن الدلالة عليها كلمة « العلم » بمفهومها الغربي الحديث .

فيشمل العلم مجال « ما وراء الطبيعة » مما جاء به الوحي ، فكشف به عن حقائق الوجود الكبرى ، وأجاب به عن الأسئلة الخالدة التي حيرت الإنسان منذ فُكّر وتفلسف ، وهي : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟

بالجواب عن هذه الأسئلة عرف الإنسان مبدأه ومصيره ورسالته . عرف نفسه ، وعرف ربه ، واطمأن إلى غايته ، وإلى طريقه .

وهذا أولى ما يطلق عليه لفظ « العلم » بل هو كما يسميه الإمام ابن عبد البر . (العلم الأعلى) .

ويشمل العلم مجال (الإنسان) وما يتعلق به من دراسات ، تبحث عن جوانب حياته ، وعلاقاته المكانية ، والزمانية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغير ذلك مما تهتم به (العلوم الإنسانية والاجتماعية) .

ويشمل العلم : مجال (الماديات) المبنوثة في الكون علويه وسفليه ، وهي تتضمن علوم الطبيعة ، والكيمياء ، والأحياء ، والفلك ، وعلوم الأرض (جيولوجيا) والطب ، والتشريح ووظائف الأعضاء والهندسة وغيرها ، مما يقوم على الملاحظة والتجربة .

وهذا المعنى أو هذا المجال ، هو الذي يقف عنده الغربيون اليوم ، لا يجاوزونه إذا تحدثوا عن « العلم » لأنه وحده الذي يخضع للاختبار والقياس ، ونحكم عليه المشاهدة والتجربة ، ويمكن إدخاله « المعمل » أو « المختبر » .

وأقول : إن الإسلام لا يقف عقبة في سبيل هذا النوع من « العلم » الذي تعتبر المادة موضوعًا له ، ولا يعده مقابلًا للإيمان ، أو معاديًا له ، كما اعتبرت ذلك أديان أخرى في مراحل تاريخية معينة .